"الأمناء" في رحاب صحراء بئر أحمد والوهط والرجاع والصبيحة للتعرف على هموم البدو

المواطنون يتمنون عودة تجربة مدارس أبناء البدو الرحل في الجنوب

استطلاع / أحمد حسن العقربي

منذ الأسبوع الماضي كنت ضيفاً على بدو الصحراء عبر الوديان والصحاري القريبة من باب المندب , وخلال رحلتي التي اصطحبني أحد الزملاء القدامى من أبناء بادية تلك المناطق . . إنها رحلة ممتعة لكنها كانت شاقة بين أكوام الرمال المتحركة الساخنة وبين الفيافي وأشجار الحرز والعصل والسمر والراك التاريخية فكان لنا هذا الاستطلاع حول البدو الرحل وقاطني البادية .

مشية الهويشا

لفت أنظارنا ونحن نمر بين تجمعات البدو وأراضي البادية المئات من قطعان الإبل وبيوت البدو الرحل المصنوعة من جلود الأغنام والإبل والأكواخ المصنوعة من أشجار الراك والعصل والسمر في حين أسراب الطيور تحلق في سماء الصحراء , وتشكل البرك المتناثرة في وديان الصحراء وبعض الواحات جراء بقايا مياه الأمطار الصيفية التي تشرب منها الطيور مثل النسور والصقور وطائر ناقر الخشب.

غزلان في الوادي

كما لفتت أنظارنا الغزلان البرية التي تمشي بين غابات أشجار السمر الصحراوي , وتتناثر جماعات وفرادى بين الكثبان الرملية وأشجار الرعي . . هذا المشهد الطبيعي الصحراوي أثار فضولي الصحفي وسألت عن شيخ عجوز من البدو الرحل القاطنين في هذه البوادي ويدعى " المجعلي " سألته عن سر هذه الغزلان فقال لي :" البادية غنية بقطعان الغزلان لكن للأسف أصبح هذا الحيوان البري مهدداً بالانقراض أو بالهجرة , فقد صار الصيادون والجنود العسكريون يلاحقونها فتضطر إلى الهجرة والاختفاء عن الأنظار بين الشعاب وغابات أشجار الصحراء الأمر الذي جعل هذه الغزلان تختبئ بين الأشجار والأماكن الوعرة حيث لا تدخل ".

ما أحلى بنات البادية

وينقطع العجوز عن الحديث منادياً أحلى الراعيات البدويات من راعيات الإبل اللواتي بحسب قول البدو الرعاة وبلهجة بدو صحراء الصبيحة :" فيقن من المراعي البعيدة" وتعني هذه الكلمة عند بدو الصبيحة أي قدمن هؤلاء النسوة من المراعي بعد نهار طويل لا ينتهي إلا مع غروب الشمس حيث تعود الراعيات إلى تجمعاتهن البدوية في الخيم ومن الخيمة البدوية نادى العجوز إحدى بناته من راعيات الإبل بأن تأتي ويدعي بلغة الرعاة دلوح من المعدن المملوء بلبن الإبل الطازج فشربنا حامدين شاكرين"، كما قال لي العجوز :" الآن أسألوا ما تريدون "، فقلت له :" وماذا يا والدنا العجوز عن طيور البادية التي تحتاج إلى تحقيق صحفي أو بحث علمي ".. فقال لي :" هذه الطيور تأتي مجموعات وهي متنوعة تملأ رحاب السماء في الوديان مثل وادي الرجاع والأودية الممتدة على طول بادية العقارب حتى وادي الصبيحة ووادي الرجاع يقطنون فيها قبائل الصبيحة ".

كما أوضح الشيخ العجوز :" أن منازل البدو المتنقلين وراء الماء والكلاء خصوصاً في فصل الصيف".

أسواق البادية المنعمة بلحوم الضان ولبن الإبل والجبن الطبيعي :

أكثر البدو الذين يرتادون تلك الأسواق هم من عشائر وقبائل المقاورة التابعين لقبائل العقارب أو قبائل الصبيحة , وكان في الماضي ولا زال هذا الحال يأتي زعماء القبائل وحتى يومنا هذا يتقاسمون القيعان المائية أو البئر التي اعتادوا عليها وهذا يعني ان كل فئة تحتكر القيعان والآبار والمراعي. أحد البدو قال لي :" إن هذه البادية مراعيها في السنوات الماضية وباتت أرض مجدبة"، وأضاف :" أتذكر أنني قد اجتزت في عام 1963م، هذه الأرض وكانت أرضاً مجدبة قطعت حوالي مائة كيلومتر حتى أصل إليها فلم أر فيها بيتاً واحداً ولا حيواناً ولم تمر بها إلا بعض القوافل المارة باتجاه عدن".

الغوص في سيكولوجية البدوي :

ويكشف أحد الرعاة وهو من وادي الرجاع وهو الخبير بسيكولوجية وطباع البدوي فيقول : " إنه دائما يتكلم بلغة العشيرة والقبيلة ولا يذكر أسمه لأي شخص قريب وإذا سأل الغريب عنه شخص من البادية يجيبه بأنه لا يعلم حتى ولو كان الشخص المراد يقف إلى جانبه خوفاً من الثأر" , مضيفا :"والبدوي الصحراوي الذي يعيش في الأطراف النائية الممتدة على مستوى المحافظات الجنوبية , وفي وسطها حتى السنوات القليلة الماضية وصحراء المهرة أو صحراء الأصاع كانوا في الوقت القريب وفي النصف الأخير من القرن الماضي بقايا من العهد الاقطاعي والمشاعي لبعدهم من المجتمعات الحضرية فالبدوي بقدرما هو ذكي بقدرما هو جاهل للأسف وبعض البدو لا يعرف كم عدد سنوات عمره ويجهل القراءة والكتابة إلا ما نذر بسبب عدم وصول المدارس إليهم والبعض من البدو القاطنين في الصحاري النائية البعيدين عن الحضر باتوا يجهلون حتى أمور دينهم للأسف وكثيرا منهم يصلي لكنه لا يعرف الأمور الأخرى المتعلقة بالعادات كالتيمم أو أمور الزكاة وغيرها".

ويشير البدوي الخبير بتقاليد وعادات البدو بالقول :" إن حروب الثأر والغزو كانت في الماضي شغل البدو والشاغل لكن هذه العادات خفت كثيراً خاصة في البادية المحاذية للمناطق الساحلية الذين معظم سكانها صيادون يبحرون إلى المناطق الاقليمية المجاورة وتستقبل بحارة وصيادين أجانب من مختلف الجنسيات , وتلعب الثقافات المتنوعة لتلك الجنسيات دوراً مهما في تحضير سكان البوادي المحاذين للمناطق الساحلية ولذلك خفت قضايا الثأر ".

إطلاق النار في البادية ديدن البدوي :

وكما يسر البدوي في تلك المناطق الصحراوية الرعاة بإطلاق النار في احتفالات الزواج والرضع والختان ويهوى امتطاء الناقة أو الجمل ، كما أن البدوي ما زال على الفطرة ولم تدخل وسائل المدنية إليه .

كيف نجعل من صحارينا وبوادينا مصدر ثروة إنسانية :

ويتمثل ذلك علاقة تشجيع الدولة للتحضر فتعنى بتقديم التعليم والصحة والإرشاد الزراعي والحيواني , واتخاذ أسباب الوقاية جميعها وإنشاء المسكن الملائم لهم ولا تهمل أحداً , وتوفر لهم جميع الشروط الأساسية في التعليم والصحة والإرشاد وتربية الحيوانات ووقايتها وتحسين نسلها وزيادة إنتاجها.

طبيعة البادية الخلابة حيث تحفل بعشب الرعيان وقطعان الإبل وأشجار الخرز والعصل والراك والسمر وأسراب الطيور

البدو ليسوا فقط مجموعة من البشر يفترشون رمال الصحراء وأنما هم مجموعة من العادات والتقاليد والثقافة الشعبية والفلكلور الشعبي والتاريخي